برکها واستحر القتل في عبد الاشل والمفلت الهارب بقوله ان الامور المستقبلة على قسمين احدهما ما تفرد الله تعالى
بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه وهي الامور الخمسة المعدودة في الآية المذكورة ان الله عنده علم الساعة وينزل
الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت والقسم الثاني ما يعلمه بعض
البشر باعلام الله تعالى اياه وهو ما عدا هذه الخمسة والاخبار بملحمة الاتراك من جملة ذلك وتضطم عليه جوانحي تفتعل
من الضم وهو الجمع اي تجتمع عليه جوانح صدري ويروى جوارحي وقد روي ان انسانا قال لموسى بن جعفر عليهما السلام
اني رأيت الليلة في منامي اني سألتك كم بقي من عمري فرفعت يدك اليمنى وفتحت اصابعها في وجهي مشيرا الي فلا اعلم
خمس سنين ام خمسة اشهر ام خمسة ايام فقال ولا واحدة منهن بل ذاك اشارة الى الغيوب الخمسة التي استأثر الله تعالى
بعلمها في قوله ان الله عنده علم الساعة الاية فان قلت لم ضحك لما قال الرجل لقد اوتيت علم الغيب وهل هذا
الا زهو في النفس وعجب بالحال قلت قد روي ان رسول الله صلعم ضحك في مناسب هذه الاحوال لما استسقى وسقي و
اشرف درور المطر فقام اليه الناس فسألوه ان يسأل الله تعالى ان يحبسه عنهم فدعا واشار بيده الى السحاب فانجاب
حول المدينة كالاكليل وهو عليه السلم يخطب على المنبر فضحك حتى بدت نواجذه وقال اشهد اني رسول الله وسر هذا الامر
ان النبي او الولي اذا تجددت عنده نعمة الله سبحانه او عرف الناس وجاهته عند الله فلا بد ان يسر بذلك وقد يحدث
الضحك من السرور وليس ذلك بمذموم اذا خلا من التيه والعجب وكان محض السرور والابتهاج وقد قال تعالى
في وصف اوليائه فرحين بما آتاهم الله من فضله فان قلت فان من جملة الخمسة وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
وقد اعلم الله تعالى نبيه بامور يكسبها في غده نحو قوله ستفتح مكة واعلم نبيه وصيه ما يكسبه في غده نحو قوله ستقاتل
بعدي الناكثين الخبر قلت المراد بالآية انه لا تدري نفس جميع ما تكسبه في زمان مستقبل زمانها وذلك لا ينفي جواز
ان يعلم الانسان بعض ما يكسبه في مستقبل زمانه واعلم ان هذا الغيب الذي اخبر عنه قد رأيناه نحن عيانا ووقع
في زماننا وكان الناس ينتظرونه من اول الاسلام حتى ساقه القضاء والقدر الى عصرنا وهم التتار الذين خرجوا من
اقاصي المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام وفعلوا بملوك الخطا وقفجاق وببلاد ما وراء النهر وبخراسان وما
والاها من بلاد العجم ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله تعالى آدم الى عصرنا هذا على مثله فان بابك الخرمي لم تكن نكايته
وان طالت مدته نحو عشرين سنة الا في اقليم واحد وهو اذربيجان وهؤلاء دوخوا المشرق كله وتعدت نكايتهم الى
بلاد ارمينية والى الشام ووردت خيلهم الى العراق وبخت نصر الذي قتل اليهود انما اخرب بيت المقدس وقتل
من كان بالشام من بني اسرائيل واي نسبة لبني اسرائيل الى البلاد والامصار التي اخربها هؤلاء والى الناس الذين قتلوهم
من المسلمين وغيرهم ونحن نذكر طرفا من حالهم وابتداء ظهورهم على سبيل الاختصار فنقول انا على كثرة اشتغالنا
بالتواريخ وبالكتب المتضمنة اصناف الامم لم نجد ذكر هذه الامة اصلا ولكنا وجدنا ذكر اصناف الترك من القفجاق
واليمك والبرلو والتغزبه واليبيه والروس والخطا والقرغز والتركمان ولم يمر بنا في كتاب ذكر هذه الامة سوى كتاب
واحد وهو كتاب مروج الذهب للمسعودي فانه ذكرهم هكذا بهذا اللفظ تتر والناس اليوم يقولون التتار
بالف وهذه الامة كانت في اقاصي بلاد المشرق في جبال طمغاج من حدود الصين وبينهم وبين بلاد الاسلام التي ما
وراء النهر ما يزيد على مسيرة ستة اشهر وقد كان خوارزمشاه وهو محمد بن تكش استولى على بلاد ما وراء النهر وقتل ملوكها
من الخطا الذين كانوا ببخارا وسمرقند وبلاد تركستان نحو كاشغر وبلاساغون وافناهم وكانوا حجابا بينه وبين
هذه الامة وشحن هذه البلاد بقواده وجنوده وكان في ذلك غالطا لان ملوك الخطا كانوا وقاية له ومجنا
من هؤلاء فلما افناهم صار هو المتولي لحرب هؤلاء او سلمهم فاساء قواده وامراؤه الذين بتركستان السيرة معهم
وسدوا طرق التجار عنهم فانتدبت منهم طائفة نحو عشرين الفا مجمعة لكل بيت منها رئيس منفرد فهم متنازعين
وخرجوا الى بلاد تركستان فاوقعوا بقواد خوارزمشاه وعماله هناك وملكوا البلاد وتراجع من بقي من عسكر خوارزمشاه
وسلم من سيف التتار الى خوارزمشاه فاغضى على ذلك ورأى ان سعة ملكه تمنعه عن مباشرة حربهم بنفسه وان غيره

من قواده لا يقوم مقامه في ذلك فترك لهم بلاد تركستان واستقر الامر على ان تركستان لهم وما عداها من بلاد ما وراء النهر
كسمرقند وبخارا وغيرهما لخوارزمشاه فمكثوا كذلك نحو اربع سنين ثم ان المعروف بجنكزخان والناس يلفظون بالراء وذكر لي
جماعة من اهل المعرفة باحوال التتر انه جنكز بالزاء المعجمة عن له رأي في النهوض الى بلاد تركستان وذلك ان جنكزخان هذا
هو رئيس التتار الاقصين في المشرق وابن رئيسهم وما زال سلفه رؤساء تلك الجهة وكان شجاعا عاقلا موفقا مسعودا
في الحرب وانما عن له هذا الرأي لانه رأى ان طائفة من التتار لا ملك لهم وانما يقوم بكل فرقة منهم مدبر لها من
انفسهم قد نهضت فملكت بلاد تركستان على جلالتها فغار من ذلك واراد الرياسة العامة لنفسه واحب الملك وطمع
في البلاد فنهض بمن معه من اقاصي الصين حتى صار الى حدود اعمال تركستان فحاربه التتار الذين هناك ومنعوه عن
طرق البلاد فلم يكن لهم به طاقة وهزمهم وقتل كثيرا منهم وملك بلاد تركستان باجمعها وصار كالمجاور لبلاد خوارزمشاه
وان كان بينهما مسافة بعيدة وصار بينه وبين خوارزمشاه سلم ومهادنة الا انها هدنة على دخن فمكثت الحال على
ذلك يسيرا ثم نشدت بما كان يصل الى خوارزمشاه على السنة التجار من الاخبار ان جنكزخان على عزم النهوض الى سمرقند
وما يليها وانه في التأهب والاستعداد فلو داراه لكان اولى لكنه شرع فسد طرق التجار القاصدين اليهم فتعذرت
عليهم الكسوات ومنع عنهم الميرة والاقوات التي تجلب وتحمل من اعمال وراء النهر الى تركستان فلو اقتنع بذلك لكان
قريبا لكنه انهى اليه نائبه بالمدينة المعروفة باوتران وهي آخر ولايته مما وراء النهر ان جنكزخان قد سير جماعة من تجار
التتار ومعهم شيء عظيم من الفضة الى سمرقند ليشتروا له ولاهله ولبني عمه كسوة وثيابا وغير ذلك فبعث اليه خوارزمشاه
يأمره بقتل اولئك التجار واخذ ما معهم من الفضة وانفاذها اليه فقتلهم وسير اليه الفضة وكان ذلك شيئا
كثيرا جدا ففرقه خوارزمشاه على تجار سمرقند واخذ ثمنه منهم لنفسه ثم علم انه قد اخطأ فارسل الى نائبه باوتران
يأمره ان ينفذ جواسيس من عنده اليهم ليخبروه بعدتهم فبعث الجواسيس وسلكت مفاوز وجبالا كثيرة وعادوا اليه
بعد مدة فاخبروه بكثرة عددهم وانهم لا يبلغهم الاحصاء ولا يدركهم وانهم من اصبر الناس على القتال لا يعرفون الفرار
ويعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بايديهم وان خيلهم لا تحتاج الى الشعير بل تأكل نبات الارض وعروق المراعي وان
عندهم من الخيل والبقر ما لا يحصى وانهم يأكلون الميتة والكلاب والخنازير وهم اصبر خلق الله على الجوع والعطش و
الشقاء وثيابهم من اخشن الثياب مسا ومنهم من يلبس جلود الكلاب والدواب الميتة وانهم اشبه شيء بالوحوش
والسباع فانهى ذلك كله الى خوارزمشاه فندم على قتل اصحابهم وعلى خرق الحجاب بينه وبينهم واخذ اموالهم وغلب عليه
الفكر والوجل فاحضر الشهاب الخيوقي وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف ما يشير به فقال له قد حدث امر عظيم
لا بد من الفكر فيه واجالة الرأي فيما نفعل وذلك انه قد تحرك الينا خصم من الترك في عدد لا يحصى فقال له عساكرك
كثيرة وتكاتب الاطراف وتجمع الجنود ويكون ذلك نفيرا عاما فانه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالاموال والرجال ثم
تذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبين بلاد خوارزمشاه فتكون هناك فاذا جاء
العدو وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وقد مسه وعساكره النصب واللغوب فجمع خوارزمشاه امراءه
ومن عنده من ارباب المشورة فاستشارهم فقالوا لا بل الرأي ان نتركهم ليعبروا سيحون الينا ويسلكوا هذه الجبال و
المضايق فانهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنظهر عليهم ونهلكهم عن آخرهم فكانوا على ذلك حتى وصل رسول من
جنكزخان ومعه جماعة يتهدد خوارزمشاه ويقول تقتل اصحابي وتجاري وتأخذ مالي منهم استعد للحرب فاني واصل
اليك بجمع لا قبل لك به فلما ادى هذه الرسالة الى خوارزمشاه امر بقتل الرسول فقتل وحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه
واعادهم الى صاحبهم جنكزخان ليخبروه بما فعل بالرسول ويقولون له ان خوارزمشاه يقول لك اني سائر اليك فلا حاجة
لك ان تسير الي فلو كنت في آخر الدنيا لطلبتك حتى اقتلك وافعل بك وباصحابك ما فعلت برسلك وتجهز خوارزمشاه
وسار بعد نفوذ الرسل مبادرا ليسبق خبره ويكبس التتار على غرة فقطع مسيرة اربعة اشهر في شهر واحد ووصل الى
بيوتهم وخركاواتهم فلم ير فيها الا النساء والصبيان والاثقال فاوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية وكان

وهدنة على دخن محركة اي سكون لعلة لا للصلح ق

نصب

تجار رجالي